الوسط
Alwasat
يومية سياسية مستقلة
opinion@alwasatnews.com
العدد 4524 الاثنين 26 يناير 2015 الموافق 6 ربيع الآخر 1436هـ
Monday 26 January 2015, Issue No. 4524

هاني الفردان
hani.alfardan@alwasatnews.com

اعتداء على جسم الغير أم شروع في القتل؟

□ دخلت قضية «مصاب البلاد القديم» مرحلة جديدة من مراحل التحقيق وذلك بعد أن أعلنت وحدة التحقيق الخاصة على لسان المحامي العام رئيس الوحدة نواف حمزة عن «تحديد هوية عضو الشرطة المتهم بإصابة المجني عليه، حيث باشرت الوحدة استجوابه، وأقر بأنه أطلق النار من سلاح الشوزن الذي كان في عهدته، قاصداً من ذلك تفريق الأشخاص الذين يثيرون التخريب والشغب ولم يقصد إصابة أحد».

المقطع المصوّر الذي انتشر يوم الثلثاء (20 يناير/ كانون الثاني 2015) لحادثة ليست جديدةً على الشارع البحريني وليست غريبة، وهي «إطلاق نار» من سلاح «شوزن» من داخل مدرعة أمنية على محتج، متظاهر أو حتى كما وصفته وزارة الداخلية في بيانها يوم الأربعاء (21 يناير 2015) بأنه «مشارك في أحداث شغب»، مقطع واضح لا يحتاج للكثير من التفسيرات أو التأويلات، ولا يحتاج إلى «التبرير» أو التخفيف من وطأة الحادثة.

المقطع صوّر الحادثة بدقة متناهية، فكان المصاب وحيداً أمام مدرعة مصفّحة لا يمكن اختراقها، وكان المصاب «مسالماً لحظتها على أقل تقدير» فلم يكن في يده سوى صورة لأمين عام جمعية «الوفاق» الشيخ علي سلمان، ولم يكن يمثّل أي تهديد حقيقي لأي فرد من أفراد قوات الأمن أو حتى مركباتها، ولم يكن أحد بجانبه في وقت التصويب عليها.

إذاً، اعتراف رجل الأمن لوحدة التحقيق الخاصة (بحسب بيان رسمي للوحدة صدر يوم الخميس 22 يناير 2015) بأنه «أطلق النار من سلاح الشوزن الذي كان في عهدته، قاصداً من ذلك تفريق الأشخاص الذين يثيرون التخريب والشغب ولم يقصد إصابة أحد»، لا يمكن قبوله منطقاً ولا عقلاً، فالمصاب كان وحيداً، وكان قريباً من المدرعة الأمنية، ولم يكن بحوزته ما يهدّد به سلامة رجال الأمن. كما أن المسافة القريبة جداً والطلق المباشر على جسد المصاب يفنّدان الحديث عن نوايا تفريق متظاهرين أو عدم قصد الإصابة، إلا إذا كان رجل الأمن «غير مدرب على ذلك»، وهو أمرٌ خطيرٌ جداً أن يُسلّم سلاح ناري لرجل أمن يتعامل مع «متظاهرين أو مثيري شغب» دون تدريب وتجهيز لذلك، وهو ما ينقل المسئولية لمن هم أعلى منه، فكيف حدث ذلك؟

في خضم الحديث عن مصاب البحرين، قتلت أمس الناشطة المصرية شيماء الصباغ في تظاهرة كانت سلميةً (بحسب فيديو مصوّر نشر في مواقع الصحف المصرية) في ميدان التحرير عشية ذكرى ثورة «25 يناير»، وبسلاح «الشوزن» أيضاً، فيما سارعت وزارة الداخلية المصرية للتبرؤ من الحادثة ونسبتها إلى «مندسين»!

سلاح «الشوزن» سلاح خطير وهو «مميت» وقاتل، وحوادث القتل به كثيرة، وما لم يُحظر استخدامه، فيجب أن يقنّن وفق «مدونة سلوك رجال الشرطة»، وأن «لا تستخدم القوة إلا عند الضرورة القصوى، أو استخداماً لحق الدفاع الشرعي المنصوص عليه في القانون. كما يشترط أن تكون القوة هي الوسيلة الوحيدة لـردّ العدوان على رجل الشرطة، أو لإنقاذ حياته وحياة الآخرين»، مع ضـرورة إعمال مبدأ «التناسب» بين الخطر المحدق على الحياة والأموال العامة والخاصة واستخدام القوة.

تهم الشروع في القتل، منذ العام 2011، أصبحت تهمة مطاطية، فعلى سبيل المثال لا الحصر حكم على 3 متهمين بعقوبة تتراوح ما بين 5 و15 سنة، في قضية «الشروع في قتل شرطة والتجمهر في منطقة الدير»، وذلك بعد أن أدينوا بـ«محاولة دهس «فاشلة» ضابط شرطة بالسيارة» (3 يونيو/ حزيران 2013)، ولهذا النوع من القضايا يوجد الكثير.

فإذا كانت محاولة «دهس» تصنّف على أنها جريمة «شروع في قتل»، فهل التصويب المباشر من سلاح ناري ومن مسافة قريبة جداً على «متظاهر أو مثير للشغب» وإصابته فعلاً، لا يمكن أن تصنف على أنها «شـروع في قتل» أيضاً!

مبدأ التناسب الـذي أقرته مدونة سلوك الشرطة (منذ 1 مـارس/ آذار 2012) لم يكن موجوداً في حادثة «مصاب البلاد القديم» ولم تفعل أساساً هذه المدوّنة في تلك الحادثة، وذلك لأن مبدأ التناسب في توجيه التهم لرجل الأمن لم يكن موجوداً، فالطلق المباشر على متظاهر وحيد يرفع صورةً ولا يشكّل خطراً على أحد، وبالتالي إصابته بشكل مباشر من مسافة قريبة، هو «شروع في قتل» وليس مجرد «اعتداء على سلامة جسم الغير»! حتى وإن كانت تلك التهمة لازالـت «مبدئية» حتى الآن، خصوصاً وأنه -وبحسب المدونة- لـم يكن هنـاك حاجة لاستخدام تلك «القوة المميتة».

لقراءة المقالات السابقة

الحصار لن ينسيك اسمك والمدى

جعفر الجمري
jaffar.aljamri@alwasatnews.com

□ فكُّ الحصار الذي قد يأتيك من خارج الحدود؛ قد يكون واحداً من الأمور التي يُراد لها أن تكون أقداراً لا تستطيع الخروج عليها. هكذا يُريدون إيهامك، ولكنك ستجد طريقةً ما لتنتصر عليه؛ خصوصاً حين يكون الذي يفرض مثل ذلك الحصار، عابراً ولا مشيمة تربطه برحم الأرض.

الحصار ألاّ ترى مدىً من حولك. أن يُختزل فضاء الله في الحيِّز الذي تُدفع إليه دفعاً كي ترتهن روحك، وكل ما يدل عليك. أن تكون جزءاً من أدوات من فَرَضَه وما يملك.

الحصار ألاَّ تستطيع حتى الانتباه إلى أن كل ما اتسع من حولك، إنما وُجد ليتناسب مع الأرحب والأوسع في نفسك وروحك. أنت سيد الكائنات، وكل هذه الرحابة في الكون والوجود إنما خُلقا لتأكيد سيادتك. تأكيد امتداد رحابة الكون من رحابتك، والعكس صحيح. الحصار، يأتي مدفوعاً بغرور لا حد نهائياً له، وبحمْق أيضاً ليقرّر أنه المعنيُّ بحدود الفضاء والمدى الذي يجب أن تتحرك فيه!

كأنَّ من يريد حصارَك أن يجعلك أشلاء. أن يقطع صلتك بمحيطك، وكل الذي لك صلة به. لا أَمَامَ تعرفه ولا وراء. كأنك في قبرٍ مؤجَّل. أن تشعر بسقوطك من مواضع تحصُّنك. وذلك لم تثبت جدواه على مَرِّ التاريخ. أو على الأقل لم تثبت فاعليته وأثره النهائي في ما نعرف، وما وقفنا عليه من اليسير من السِيَر والتاريخ.

قد يُنهي حصار حركةً. قد يشتتها. قد ينجح في اجتثاثها في المكان عينه؛ لكنه لا، ولن يضمن ألاَّ تطلع وتباغت مُحاصرَها كما يباغت الورم الجسد المطمئن فيفتك به؛ مع فارق الأداء في خيار أن يعيش الناس أحراراً، وسرطان ينتهك اطمئنان المرء لعافيته وصحته وحيويته.

وفي استدعاء لا غنى عنه من مصدر إشراقة فضاء ومدى لغتنا العربية وفنها الأول (الشعر)، محمود درويش، نقف على تعاطيه مع جمالية حصار الحصار! نعم يمكن للحصار أن يُحاصرَ «حاصرْ حصارك بالجنون وبالجنون وبالجنون... ذهبَ الذين تحبهم، ذهبوا فإما أن تكونْ، أو لا تكونْ».

ولا شك أن للفضاء حماسةً لا ولن تتوافر، في حيِّز هو دون القبر، وإن كان على الأرض. حماسة أن تكون مشغولاً بالتفاصيل، وإن لم يُتَحْ لك الوقت الكافي تفرُّغاً لها؛ لكنك ستكون مطمئناً إلى أنها هناك، لم يمْسَسْهَا سوء التغيير والمصادرة والتسوير.

الفضاء الذي يشعرك بقيمة أن لك رأساً وجبهة خلقت كي تكون منشغلاً ومنهمكاً بالأعالي لا الحُفَر؛ وبلون السماء وزرقتها؛ والأهم، امتداد أهميتك وتكريمك من السماء، لا من الذي يقرّر ذات وباء ينتاب ما تبقى فيه من نَفَسٍ ونفْس ألاّ تكون، في القيمة التي لا يملك الأدنى من تلك الكينونة.

والأمامُ والوراءُ لا يحدِّده حصار مادام للمُحَاصَر أفقه الاحتياطي، بقدرته على الإمساك بالحبل السري لحياته ووصفة تلك الحياة التي لا سلطة لأحد؛ أياً كان أن يحدِّد مقاديرها ووجهتها، والطريقة والأسلوب اللذين يجب أن يكونا عليه.

وأشدُّ الحصار مضاضةً ذلك الذي ينالك من بيئتك الأولى من قِبَل من لا علاقة لهم بها. وإن كانت لهم علاقة، فلن تتعدّى حدود الأجْر على ذلك الفعل؛ تجرؤاً على السنن لتحقيق معاش زائل يحاصر أصحابه؛ وفي التفاتة إلى حقيقة مدى وفضاء يمكن لأولئك ادّعاء أنهم يملكونه ويسرحون ويمرحون فيه، فلن تجد الذي هو أدنى، في خرْم إبرة ليس لأنه لا يسعهم؛ بل لأنهم ليسوا أهلاً له؛ وأولئك هم الذين يظلون متوهِّمين بحصارهم المدفوع بألاّ مدى لك هناك!

واتكاء على استفزاز درويش تأنس هذه الكتابة بالاستشهاد؛ وهو يتحدث عن القنبلة الفراغية. النووية وهيروشيما. ألم يكن ذلك حصاراً ولكن بعد القيامة؟ هو كذلك، لكن ما يتبقى من الرماد هناك، ليس رماد الأبنية والشوارع؛ بل رماد ما تبقَّى من إرادة الضحايا في ذلك الحصار الجهنمي المُوجَّه على ارتفاع عشرات آلاف الأقدام، بوصفة موت سريع بالنسبة إلى مخترع جهنم تزن أطناناً.

«أتذكَّر من هيروشيما، المحاولة الأميركية لدفع هيروشيما إلى نسيان اسمها».

لم تنسَ هيروشيما اسمها. نهضتْ من رماد سبَّبتْه عقليات مختبرات الجحيم. لم تسقط هيروشيما بالحصار على ارتفاع آلاف الأقدام؛ بل حاصرت العالم بدءاً بالسوشي، وليس انتهاء بهذا الانضباط في التعامل مع الوقت؛ بحيث لاشك لديَّ، ولدى كثيرين، في أن ساعة «بيغ بن»، وتوقيت غرينتش لم يتم ضبطه إلا على انتظام الياباني بعد حصاره الذري!

لقراءة المقالات السابقة

فقدت الأمتان العربية والاسلامية رجلاً كان فخراً

محمد نعمان جلال
باحث أكاديمي مصري

□ فقدت الأمتان العربية والإسلامية بل فقد العالم بأسره، رجلاً كان فخراً للرجال بمعنى الرجولة في القول والعمل، وقائداً كان مقداماً وبطلاً من أبطال الشجاعة الأدبية، فضلاً عن الشجاعة المادية، والأولى في رأيي المتواضع أهم وأبقى. وقد اهتم الراحل الكريم بفلسفة الحوار العقلاني بين الطوائف والعقائد والثقافات، ومن هنا دعا إلى عقد المؤتمر الأول في الرياض، والثاني في نيويورك، في مبادرة للمملكة في إطار الأمم المتحدة. ثم أقيم بعد ذلك مركز الحوار في فيينا.

وقد كان المغفور له بإذن الله، داعيةً للحوار عن إيمان صادق وعقيدة راسخة، باعتبار الحوار جزءًا لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية السمحة، كما جاء في الدين الإسلامي الحنيف الذي قال: «ولا تستوِي الحسنَةُ ولا السَيّئَةُ ادْفَعْ بالتي هي أَحسنُ فإِذا الَذي بينك وبينَهُ عداوةٌ كأَنّهُ وليٌّ حميمٌ» (فصلت، 34).

وآمن العاهل الراحل بأن الدين من عند الله هو دين واحد، لقوله تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبُر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب» (الشورى، 13). فهذا كله شرع الله تعالى، ديناً واحداً وملةً متحدةً، لم يختلف على ألسنة الأنبياء، وإن اختلفت فإن الوحدة هي الأساس، والإختلاف في الشعائر لا ينبغي أن يؤثر فيها.

وهنا نجد الدعوة للوحدة واضحة وضوح الشمس، والتأكيد بأن اختلاف الشعائر لا يجب أن يترتب عليه اختلاف أو تصارع بين أبناء الدين الواحد الذي هو دين الله سبحانه وتعالى، فما بالك بوحدة الشعائر واختلاف الطوائف، فهذا أبسط ولا ينبغي أن يؤثّر في وحدة الشعوب وتكاتفها.

كان الراحل الكريم عروبياً شهماً وقوياً شامخاً، دافع عن عروبة البحرين وأمنها، كما انحاز إلى شعب مصر في ثورته في 30 يونيو، مؤيداً لها وناصراً لشعبها وداعماً لجيشها ومسانداً لقيادتها المدنية والعسكرية، ورافضاً الانصياع لرغبة القوى العظمى وانتقاداتها بالنسبة لموقفه من البحرين أو من مصر. ورغم اختلاف الحالتين فإنه كان يشعر بنبض الشعب في كلا البلدين، وحاجته للحماية في لحظة فارقة من تاريخ كل منهما، ولهذا لم يتردد للحظة واحدة.

إنه من الصعب التحدث عن مناقب الفقيد وهي كثيرة، ولست مؤهلاً للتعرف عنها تفصيلاً، ولكنني أشير إلى تجربة شخصية فقط هي للقاءاتي مع جلالته، وهي ثلاث مرات في مناسبات صينية وعربية وإسلامية ويابانية. المرة الأولي عندما زار الصين وكان ولياً للعهد، وكنت آنذاك سفيراً لمصر في الصين، واجتمع مع السفراء العرب وحملنا رسالتين مهمتين: الأولي هي ضرورة العمل بجد ونشاط من أجل مصلحة بلد كل سفير منا، وفي الوقت نفسه من أجل مصلحة العروبة والإسلام؛ والثانية أهمية العلاقات العربية الصينية وضرورة العمل علي تطويرها. وهذا كله يعكس رؤية جلالته الثاقبة والبعيدة النظر في الاهتمام بل والمبادرة في التوجه شرقاً.

المرة الثانية في الرياض عندما كان هناك اجتماع للحوار بين الحضارتين الصينية والعربية، وشاركت فيه بصفتي متخصصاً في الحضارة الصينية، ومن الملفت للنظر آنذاك أن ثلاث جهات رشّحتني للمشاركة هي مصر والجامعة العربية والبحرين، وكنت آنذاك مستشاراً للدراسات الاستراتيجية بمركز البحرين للدراسات والبحوث، وكان حلماً أن نلتقي كخبراء مع عاهل أكبر دولة خليجية ومن الدول العشرين في المنظومة الاقتصادية العالمية، ولكن الحلم سرعان ما تحوّل إلى حقيقة عندما حضر للندوة مبعوث من الديوان الملكي يبلغنا بأن عاهل البلاد سوف يلتقي بالوفود وابتهجنا، ولكن فريقاً منا شعر بعدم الارتياح وهن المشاركات من النساء، ولما بلغ جلالته ذلك أرسل مبعوثاً ينقل لهم البهجة بلقاء جلالته. وفعلاً حضرنا جميعاً اللقاء، وحرص جلالته أن يظل واقفاً وأن يصافحنا فرداً فرداً بلا استثناء، وتحدث إلينا عن الارتباط الحضاري والتاريخي بين الحضارتين العربية والاسلامية والتراث المشترك بينهما.

أما اللقاء الثالث فكان عندما شاركت أيضاً في الدورة السادسة للحوار الياباني الإسلامي، وعقدت الدورة في الرياض والتقى بنا خادم الحرمين الشريفين وأفضى لنا بسر لم يكن أبلغ به أحداً علانية، وهو أن جلالته استشار علماء المملكة العربية السعودية في فكرة راودته، وهي الدعوة لحوار عالمي بين أصحاب الحضارات والثقافات والأديان والعقائد، فأبدوا تأييدهم للفكرة وشجّعوه على المبادرة بطرحها. وفعلاً طرحها جلالته، وفي غضون ثلاثة أشهر من لقائنا وضعت الفكرة موضع التنفيذ، وعقد مؤتمر للطوائف الإسلامية في الرياض، ثم مؤتمر لكافة أصحاب العقائد والأديان في نيويورك في إطار الأمم المتحدة، وصدر قرار بناء على مبادرة جلالته بإنشاء وتمويل مركز للحوار في فيينا.

وينبغي أن نشير إلى أن الحوار الياباني الإسلامي كان بمبادرة كريمة من وزير خارجية البحرين آنذاك سمو الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة مع نظيره الياباني الذي كان يزور البحرين ضمن جولة خليجية، وعقدت الدورة الأولى في البحرين علي مستوى المثقفين وبعض المسئولين. وقد شاركت في تلك الدورة وكنت مستشاراً لرئيس جامعة البحرين ماجد بن علي النعيمي آنذاك، بينما شاركت في الدورات التالية للحوار بصفتي مستشاراً للدراسات الاستراتيجية وحوار الحضارات في مركز البحرين للدراسات والبحوث، عندما كان يتولى رئاسته محمد بن جاسم الغتم.

وختاماً نقول إن بيت الشعر التالي يعبّر تمام التعبير عن الدور البارز والدائم لجلالة الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله:

لـقـد مـات قـوم ومـا مـاتـت مكارمهم
وعـاش قـوم وهـم بين الـنـاس أمـوات

رحمك الله رحمة واسعة ياعبد الله بن عبد العزيز، أيها الراحل الكريم، وتغمّدك الله في كرمه وإحسانه وفضله، وأعان الله الملك سلمان بن عبد العزيز، وهو من قرّاء وحفظة القرآن الكريم بصوت جميل وممتع يشع روحانية، وحمى الله المملكة العربية السعودية وكافة بلاد العرب والمسلمين.

لقراءة المقالات السابقة